العلم في القرآن الكريم

محاضرات ومحاذير

د. سعد سعيد كرامة الغتيني

دكتورة في الحديث وعلوم السنة

جامعة صنعاء

A777201453@gmail.com

© تُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: الغتيني، سعد سعيد، العلم في القرآن الكريم محاضرات ومحاذير، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (2)، سبتمبر 2025: 156-201.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0207>

الملخص:

تناول البحث التحفيز على العلم والاهتمام به، والحذر من الوقوع فيما يفسد على المتعلم علمه، ويذهب أجره، والبحث يحتوي محورين رئيسيين هما: المحور الأول: محفزات في القرآن الكريم للحرص على العلم والاهتمام به، وهي: العلم اصطفاً من الله لعبده، والرسوخ في العلم يثمر الإيمان، والدعوة إلى الله تعالى بالعلم، الإيمان بالحق، وإخبات القلب إلى الله تعالى، ومقام الخشعية من الله تعالى للعلماء، وبالعلم تعرف حقيقة الدنيا، والعلم والجهاد في سبيل الله تعالى تكامل لا تناقض. المحور الثاني: محاذير تعليمية من زاوية النظر القرآني، وقد تناول البحث سبعة محاذير، وهي: اتباع المتشابه في العلم، وبذل العلم ثمناً لنيل المكاسب الدنيوية، والاختلاف والبغى بعد العلم من صفات أهل الكتاب، والبطر في العلم سبب لعذاب الله، والإعراض عن العلم يورث التولي عن ذكر الله والغفلة عن الآخرة، وعدم العمل بالعلم أو عدم فهمه سبب للذم، واتباع الهوى بعد العلم. واعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي. خلص البحث إلى عدد من النتائج، منها: أن تعلم العلم الموصل إلى الله تعالى، هو اصطفاً من الله لعباده، وأن ثمرة العلم النافع خشية الله تعالى، وأن القلب السليم من الزيغ يؤمن بالمحكمات، ويردُّ إليها المتشابهات، وخلص البحث في توصياته: إلى غرس محبة العلم والتعلم لدى الأجيال المسلمة، وذلك بإيجاد المحاضن العلمية والتربوية، ووضع البرامج المتدرجة في العلم مع الحرص على تدبر القرآن الكريم، واستنباط الحلول الصحيحة لمشكلات الحياة العامة.

الكلمات المفتاحية: العلم، المحفزات، المحاذير.

**Science in the Holy Quran
Motivations and Cautions
Dr. Saad Saeed Karamah Al-Ghannini
PhD in Hadith and Sunnah Sciences
Sana'a University**

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Al-Ghannini, Saad Saeed, Science in the Holy Quran Motivations and Cautions, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (2), September 2025:111-201.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0207>.

Abstract:

The research addresses the importance of encouraging the pursuit of knowledge and paying attention to it, while warning against behaviors that may corrupt the learner's knowledge and nullify its reward. The study is structured around two main axes: First Axis: Quranic Motivations for Seeking and Valuing Knowledge. This section highlights several motivations found in the Qur'an that urge individuals to pursue knowledge, including: Knowledge as a divine selection for the servant, Deep-rooted knowledge leads to true faith, Calling to Allah through knowledge, Belief in the truth and humility of the heart before Allah, The elevated status of scholars who fear Allah, Knowledge reveals the reality of worldly life, Knowledge and striving in the path of Allah are complementary, not contradictory. Second Axis: Educational Warnings from a Quranic Perspective, The research explores seven key warnings, including: Following ambiguous aspects of knowledge, Using knowledge as a means to gain worldly benefits, Disputes and transgression after acquiring knowledge—traits of the People of the Book, Arrogance in knowledge as a cause of divine punishment, Turning away from knowledge leads to neglecting the remembrance of Allah and heedlessness of the Hereafter, Failing to act upon knowledge or misunderstanding it leads to blame. Following desires after acquiring knowledge. The

researcher employed the inductive, descriptive, and analytical approaches. Key Findings Among the conclusions reached: Learning knowledge that leads to Allah is a divine selection for His servants, the fruit of beneficial knowledge is the fear of Allah, A sound heart, free from deviation, believes in the clear verses and refers ambiguous ones back to them. The study recommends instilling a love for knowledge and learning among Muslim generations by: Establishing educational and nurturing environments, Designing gradual learning programs, Encouraging reflection on the Qur'an, Deriving practical solutions for common life challenges.

Keywords: Knowledge, Motivators, Cautions.

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وآله وصحبه، أما بعد:
فإن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية - اليمن - أعلنت عن انعقاد المؤتمر القرآني الدولي الثالث الموسوم بـ: (القرآن الكريم ومشكلات الأمة المعاصرة) والذي يتضمن ثمانية محاور رئيسة، وكان منها محور الخامس: (القرآن الكريم ومشكلات الأمة التعليمية).
فأحببت المشاركة فيه ببحث بعنوان (العلم في القرآن الكريم.. محفزات ومحاذير). لقد عنيت الشريعة الإسلامية بالعلم أبلغ العناية، بياناً لشرفه، وتعظيمًا لقدره، وتوضيحًا لأنواعه ومصادره، وحلًا لمشكلاته في الحياة الدنيا، وتوضيحًا لأثره في الدنيا والآخرة، وإشادة بتعلمه وطلبه، وترهيبًا من القعود عنه مباشرة، أو بعدم سؤال أهله.
ولذلك كان للعلم في الشريعة الإسلامية حيز كبير من كتاب الله عز وجل، ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أمر يحتاج إلى بذل جهد كبير فيه،⁽¹⁾ ومن ذلك لا بد من إلقاء نظرات على مشكلات الأمة التعليمية، والنظر فيها من زاوية الحل القرآني لها.

(1) من مقال "مفهوم العلم في القرآن" في مجلة البيان د. الجيلالي المريني، أستاذ الفقه وأصوله، جامعة

السلطان محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.

لقد أشاد القرآن الكريم بأهمية التعلم والتعليم من أول نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله عليه وهو يتحنث لربه في غار حراء الليالي ذوات العدد، يتأمل في الكون العظيم الذي خلقه الله تعالى، قوله جل وعلا: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ سورة العلق: الآية (1).

ولم يأمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من طلب الزيادة في شيء إلا في العلم فقال سبحانه: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤ ﴾ سورة طه: الآية (114) وذلك لأن كل شيء إذا كثر وزاد رُحُص، إلا العلم فإنه إذا كثر وزاد لدى طالبه، صار غالبًا عاليًا ذا قيمة عظيمة، ولهذا لا يستوي من يعلم والذي لا يعلم، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝١ ﴾ سورة الزمر: الآية (9)

وبقدر اهتمام المؤمن بالعلم وتحصيله والعمل به، تكون رفعة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١ ﴾ سورة المجادلة: الآية (11) فالعلماء هم الذين يعظمون مقام الله ويخشونه حق خشيته؛ لأنهم عرفوا صفاته وشرعه ودلائل قدرته، وهذه أعظم ثمرة للعلم خص الله بها أهل العلم من بين سائر خلقه قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨ ﴾ سورة فاطر: الآية (28)

فالعلم تظهر فضيلته ومنزلته في الدنيا والآخرة، فأهله هم الناطقون بالحق في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتبارًا عند الله وعند خلقه، قال الله تعالى مخبرًا قولهم يوم القيامة ﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٢٧ ﴾ سورة النحل: الآية (27). فهذه بعض خصائص وفضائل العلم وأهله، ولذا صار لازماً على طلابه البحث عن مشكلات الأمة التعليمية في القرآن الكريم حتى تتفادها وتحصل على الأجر الكبير والعلم الوفير الذي يقربها من ربها سبحانه وتعالى.

ولقد استفدت في بحثي هذا في ذكر المعنى الإجمالي للآيات وبعض الفوائد الإيمانية

والتربوية من كتاب "المختصر

في التفسير " مركز تفسير للدراسات القرآنية، وكذلك "القرآن تدبر وعمل" مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي، فجزاها الله عني خير الجزاء، وكتب لهما الحسنى في الدنيا والآخرة.

أهمية البحث:

1. كونه متعلق بالعلم الذي هو أشرف مطلوب، وقد اهتم الله به في كتابه من أول ما نزل.
2. يوضح المحفزات المتعلقة بالعلم والتعليم في القرآن الكريم وكيفية الاستفادة منها.
3. يُبين المحاذير في العلم التي يجب على كل طالب للعلم الحذر من الوقوع فيها.

أهداف البحث:

1. إيضاح الرؤية القرآنية في الاهتمام بالعلم والحرص عليه.
2. التعرف على أهم ما يجب على طالب العلم الحذر منه أثناء طلبه للعلم، وبعده.
3. المشاركة في المؤتمر القرآني الثالث بجامعة القرآن والعلوم الإنسانية.

مشكلة البحث:

العلم والتعليم، كيف نحرص على طلبه؟ وكيف نحذر من كل ما يناقضه أو يبغضه عن الطريق الصحيح؟ من خلال القرآن الكريم؛ كي نسعى في طريق العلم على بصيرة وفهم لنهوض المجتمع المسلم.

حدود البحث:

يتبين حدود البحث من خلال العنوان (العلم في القرآن الكريم محفزات ومحاذير) فهو يبحث حول العلم وما يتعلق به من محفزات أو محاذير من خلال القرآن، وما يفسر به من السنة النبوية، وأقوال الصحابة، واللغة العربية، مع الاستعانة في ذلك بكتب التفسير عامة، وربط ذلك بواقع الأمة الإسلامية.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، وذلك بدراسة وتحليل المحفزات مع بيان المعلومات عنها، ثم بيان المحاذير في العلم وخطرها على المتعلم، التي تسهم في معالجة الإشكالات العلمية والتعليمية.

الدراسات السابقة:

اهتم المسلمون بالدراسات القرآنية قديماً وحديثاً، في مواضيع كثيرة من أهمها موضوع العلم في القرآن الكريم فمن هذه الدراسات الحديثة ما يأتي:

1. العلم والعقل في القرآن للشيخ يوسف القرضاوي، وقد بين في كتابه تعريف العلم بأنه يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، سواء كان دينياً أو دنيوياً، ثم ذكر معالم مهمة في القرآن وتعامله مع العقل البشري، وهو لم يتطرق للمشكلات التعليمية.
2. مكانة العلم في القرآن تأليف يحيى أحمد الدرديري، المطبعة السلفية 1346هـ 1945م، فهو يتحدث عن مكانة العلم وفضله ومنزله من العبادات الأخرى، مما لا علاقة له ببحثنا هذا.
3. العلم في القرآن الكريم، د/ لبليل عبد الكريم، 1431هـ 2009م، وهو يتحدث عن تعريف العلم وأقسامه، ومراتبه، وضوابطه، وهو ليس حول موضوع بحثنا هذا.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، ومحورين لكل محور سبعة مباحث، وخاتمة: المقدمة وفيها ملخص البحث، وأهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه، وحدوده، والدراسات السابقة.

المحور الأول: محفزات للعلم في القرآن الكريم: وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: العلم اصطفاً من الله لعبده.

المبحث الثاني: الرسوخ في العلم يثمر الإيمان.

المبحث الثالث: الدعوة إلى الله تعالى بالعلم.

المبحث الرابع: الإيمان بالحق، وإخبات القلب إلى الله تعالى.

المبحث الخامس: مقام الخشية من الله تعالى للعلماء.

المبحث السادس: بالعلم تعرف حقيقة الدنيا.

المبحث السابع: العلم والجهاد في سبيل الله تعالى تكامل لا تناقض.

المحور الثاني: محاذير في طلب العلم من النظر القرآني: وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اتباع المتشابه في العلم.

المبحث الثاني: بذل العلم ثمناً لنيل المكاسب الدنيوية.

المبحث الثالث: الاختلاف والبغي بعد العلم من صفات أهل الكتاب.

المبحث الرابع: البطر في العلم سبب لعذاب الله.

المبحث الخامس: الإعراض عن العلم يورث التولي عن ذكر الله، والغفلة عن الآخرة.

المبحث السادس: عدم العمل بالعلم أو عدم فهمه سبب للذم.

المبحث السابع: اتباع الهوى بعد العلم.

الخاتمة: التوصيات والنتائج.

هذا ما يسر الله لي جمعه وترتيبه في هذا البحث، الذي سأل الله تعالى أن يرزقنا العلم

النافع والعمل الصالح، وأن يجعله خالصاً لوجه الكريم، وأن يغفر لي ويرحمي ووالدي

والمسلمين.

المحور الأول:

محضرات للعلم في القرآن الكريم:

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول

العلم اصطفاً من الله لعبده:

إن من اصطفاه الله من عباده، ورثه علم الكتاب، والعمل به، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأِذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (سورة فاطر: الآية (32)).

قال ابن جزري - رحمه الله -: قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين: هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فالظالم لنفسه: العاصي، والسابق: التقي، والمقتصد: بينهما. (1)

قال السعدي - رحمه الله -: فكلهم اصطفاهم الله تعالى، لورثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما معه من أصل الإيمان، ولوم الإيمان، وأعمال الإيمان، من وراثته الكتاب؛ لأن المراد بورثة الكتاب، وراثته علمه وعمله، ودراسة ألفاظه واستخراج معانيه، وقوله (يأذن الله) راجع إلى السابق بالخيرات؛ لئلا يغير بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعاونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه. (2)

تأمل كيف شمل ربنا - تبارك وتعالى - الظالم لنفسه مع عباده المصطفين، ما دام أنه على صلة بكتاب الله علماً وعملاً حتى وإن حصل منه تقصير، وظلم لنفسه بالمعاصي، فبالعلم يترقى في سلم العبودية لله تعالى، حتى يصل إلى درجة السابقين بالخيرات بإذن الله

(1) ابن جزري، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل (176/2).

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 809).

تعالى.

فقد اختار الله لبي إسرائيل ملكاً عليهم؛ وذلك بسبب أن زاده عليهم سعة في العلم وقوة في الجسم، فهو يؤتي ملكه من يشاء بحكمته ورحمته، والله واسع الفضل يعطي من يشاء، عليم بمن يستحقه من خلقه، كما أخبر الله عنه إذ قال لهم نبيهم، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجَسَدِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (247) سورة البقرة: الآية (247) قال ابن كثير - رحمه الله -: أي أتم علمًا وقامة منكم، ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم، وشكل حسن، وقوة شديدة في بدنه ونفسه. (1) |

قال أبو حيان - رحمه الله -: شرفه بخصلتين، هما في ذاته: الخلق العظيم، والأخرى التي هي الفضل الجسيم، واستغنى بهذين الوصفين الذاتيين عن الوصفين الخارجين عن الذات، وهما الفخر بالعظم الرميم، والاستكثار بالمال الذي مرتعه وخيم. (2)

قال صاحب المنار - رحمه الله -: وأما المال فليس بركن من أركان تأسيس الملك؛ لأن المزايا الثلاث (3) إذا وجدت سهّل على صاحبها الإتيان بالمال، وإنا لنعرف في الناس من أسس دولة وهو فقير أُمي، ولكن استعداده ومعرفته بحال الأمة التي سادها، وشجاعته كانت كافية للاستيلاء عليها، والاستعانة بأهل العلم والإدارة والشجعان على تمكين سلطته فيها. (4)

فالمُلك إن لم يكن كذلك أي على علم وقوة في البدن والنفس، حلّت في الممالك الفوضى، وغلب الفسادُ الصّلاح، وكانت النهاية إلى دمار وهلاك، والواقع والتاريخ خير شاهد.

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (285/1).

(2) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير (191/2).

(3) استنبط الثالثة من قوله تعالى (إن الله اصطفاه عليكم) قال: هي الاستعداد الفطري.

(4) رشيد رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (379/2)

المبحث الثاني

الرسوخ في العلم يثمر الإيمان:

فإن الراسخين في العلم المتمكنين منه يقولون: آمننا بالقرآن كله؛ لأنه كله من عند ربنا، وما يتذكر ويتعظ إلا أصحاب العقول السليمة، قال الله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ سورة آل عمران: الآية (7).

قال الألوسي . رحمه الله .: فيه مدحاً للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر؛ لما أنهم قد تجردت عقولهم عما يغشاها من الركون إلى الأهواء الزائغة المكدره لها، واستعدوا إلى الاهتداء إلى معالم الحق، والعروج إلى معارج الصدق. (1)

فالرسوخ في العلم والتمكن فيه يؤدي بصاحبه إلى الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من أصول الإيمان، كما أخبر الله صنف من أهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ سورة النساء: الآية (162).

قال السعدي - رحمه الله -: لما ذكر معايب أهل الكتاب، ذكر الممدوحين منهم فقال: (لكن الراسخون في العلم) أي: الذين ثبت العلم في قلوبهم، ورسخ الإيقان في أفئدتهم؛ فأثمر لهم الإيمان التام العام (بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) وأثمر لهم الأعمال الصالحة من: إقامة الصلاة إيتاء الزكاة اللذين هما أفضل الأعمال، وقد اشتملتا على الإخلاص للمعبود، والإحسان إلى العبيد. (2)

إن الرسوخ في العلم لا يكون إلا بالربانية فيه، وذلك بالعمل بالعلم، وتربية الناس والإصلاح لأموهم بتعليمهم الكتاب المنزل، ومدارستهم إياه حفظاً وفهماً، قال الله تعالى:

(1) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (81/2).

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 233).

﴿ وَلَٰكِن كُؤُوفًا رَبَّنَا بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ ﴾ (٧١) سورة آل عمران: الآية (79).

قال البغوي - رحمه الله - : (ربانيين) قال سعيد بن جبير: العالم الذي يعمل بعلمه... وقيل: الربانيون فوق الأحرار، والأحبار العلماء، والربانيون: الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس. (1)

وقال البقاعي - رحمه الله - عند تفسير الآية: الربانيون: أي تابعين طريق الرب، منسوبين إليه بكمال العلم المزيّن بالعمل؛ فإن الرباني هو الشديد التمسك بدين الله سبحانه وتعالى وطاعته... قوله: (وبما كنتم تدرسون) فإن فائدة الدرس: العلم، وفائدة العلم: العمل، ومنه الحث على الخير، والمراقبة للخالق. (2)

(1) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن (60/2).

(2) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (118/2).

المبحث الثالث

الدعوة إلى الله تعالى بالعلم

فإن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته التي يدعو الناس إليها، قائمة على حجة واضحة، وكذلك يدعو أتباعه المهتدين بهديه المستنين بسنته، وهذا فارق بين دعوة الأنبياء وأتباعهم، ودعوة غيرهم، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ سورة يوسف: الآية (108).

قال ابن عاشور - رحمه الله -: وفي الآية دلالة على أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين الذين آمنوا به مأمورون بأن يدعوا إلى الإيمان بما يستطيعون. (1)

وهذه طريقة الأنبياء من قبل في الدعوة إلى الله تعالى، فقد أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام عندما دعا أباه إلى الإسلام وترك الشرك، حاجة بالعلم الذي أوتيته من طريق الوحي، قال الله تعالى: ﴿ يَتَّبِعْتَنِي إِنْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ سورة مريم: الآية (43) قال السعدي - رحمه الله - : فأخبره بعلمه وأن ذلك موجب لتباعك إياي، وإنك إن أطعتني اهتديت إلى صراط مستقيم. (2)

والدعوة في الإسلام لا تكون دعوة على الحقيقة حتى تكون إلى الله أولاً، ثم إلى سبيله، وذلك لا يكون إلا بالعلم بالله تعالى، وأسماءه وصفاته، والعلم بشرعه ودينه، وهي سبب للثبات على الدين، والاعتزاز به، فقد أمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى الله تعالى بإخلاص التوحيد لله، فإنه على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، قال الله تعالى: ﴿ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ سورة الحج: الآية (67).

وأمره أن ينتبه أن يصدّه أحد عن آيات الله التي أنزلها الله عليه، فيترك تلاوتها وتبليغها، وأن يدعو الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده، والعمل بشرعه، ولا يكوننّ من المشركين

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير (65/13).

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص576).

الذين يعبدون مع الله غيره، بل يكن من الموحدون الذين لا يعبدون إلا الله وحده، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُصَدِّدُكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٨٧) سورة القصص: الآية (87).

وكذلك أمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأمته تبعًا له في ذلك بالقيام الدعوة إلى سبيله الذي هو دين الإسلام بما يقتضيه حال المدعو وفهمه وانقياده قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥) سورة النحل: الآية (125).

قال ابن جزري - رحمه الله -: المراد بالسبيل هنا الإسلام، و(الحكمة) هي الكلام الذي يظهر صوابه، و(الموعظة) هي الترغيب والترهيب، والجدال هو الرد على المخالف. (1)
فالدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه إذا لم تكن على علم، كان فيها من النقص والخلل بقدر نقصها من العلم والبصيرة، ولذا فأى دعوة لا تتبنى في مشروعها الدعوي الاهتمام بالعلم والحرص عليه، تكون هشة البناء، ضعيفة المخرجات، فإذا أردنا للدعوة أن تؤتي ثمارها وينتفع بها الناس في دينهم ودنياهم؛ فلنهتم بالعلم كتابًا وسنة، أصولًا وفروعًا، وعلوم الآلة الأخرى كاللغة بجميع فروعها، وغيرها.

(1) ابن جزري، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل (438/1).

المبحث الرابع

الإيمان بالحق واخبارات القلب إلى الله تعالى

يتيقن الذين أعطاهم الله العلم أن القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق الذي أوحى به الله إلى رسوله، فيزدادوا إيماناً به، فتخضع له قلوبهم وتخضع، وأن الله يهديهم بذلك إلى طريق الحق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، جزاءً لهم على خضوعهم له، قال الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ سورة الأنبياء: الآية (54).

قال البقاعي - رحمه الله -: (فيؤمنوا به) لما ظهر لهم من صحته بما ظهر من ضعف تلك الشبهة، (فتخبت) أي: تطمئن وتخضع (له قلوبهم) وتسكن به قلوبهم؛ فإن الله جعل فيها السكينة. (1)

أن من عرفوا الوحي إذا يقرأ عليهم القرآن يخرون على وجوههم ساجدين لله شكراً، وينزهون الله تعالى عن حُلف الوعد، فما وعد به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كائن وواقع لا محالة، ويكون من خشيته عندما يقعون على وجوههم ساجدين لله، ويزيدهم سماع القرآن وتدبر معانيه خضوعاً لله وخشيةً له، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ سورة الإسراء: الآية (107. 109).

قال القرطبي - رحمه الله -: (ويخرون للأذقان يبكون) هذه مبالغة في صفتهم، ومدح لهم، وحق لكل من توسم بالعلم، وحصل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة؛ فيخشع عند استماع القرآن، ويتواضع، ويدل، وفي مسند الدارمي أبي محمد عن التيمي قال: ((من أوتي من العلم

(1) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (165/5).

ما لم يبكه لخليق ألا يكون أوتي علماً؛ لأن الله تعالى نعت العلماء)) (1) ثم تلا هذه الآية. (2)
 فإن من عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته، عظّمه حق تعظيمه، وقدّره حق قدره، أقبل
 عليه بكلّيته فالقلب في إخبات، والعين تفيض بالدمع، واللسان يلهج بالذكر، والجوارح
 مدعنة منقادة، فأبي مرتبة أعلى من هذه المرتبة، وأي شرف يبلغه أهل العلم بتلك المنزلة.
 العلمُ بلّغ قومًا ذروة الشرف وصاحب العلم محفوظٌ من الخرف
 يا صاحبُ العلم مهلاً لا تدنسه بالموبقات فما للعلم من خلف (3)

(1) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي (335/1)، سنن الدارمي، باب من قال العلم
 الخشية وتقوى الله (229) قال محققه: إسناده جيد. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل
 القرآن (579/17).

(2) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (341/10).

(3) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله (244/1).

المبحث الخامس

مقام الخشية من الله تعالى للعلماء:

إنما يعظم الله ويخشاه هم العالمون به سبحانه؛ لأنهم عرفوا أسماءه وصفاته وشرعه ودلائل قدرته، فهم أهل خشيته والخوف منه، فمن كان الله أعرف كان منه أخوف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨) سورة فاطر: الآية (28). قال الطبري - رحمه الله -: "لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه" (1).

قال القرطبي - رحمه الله -: قال الربيع بن أنس: "من لم يخش الله تعالى فليس بعالم" وعن ابن مسعود رضي الله عنه "كفى بخشية الله علماً، وبالاغترار به جهلاً" وعن مجاهد قال: "إنما الفقيه من يخاف الله عز وجل" (2).

وقال ابن عاشور - رحمه الله -: والمراد بالعلماء: العلماء بالله وبالشريعة، وعلى حسب مقدار العلم في ذلك تقوى الخشية؛ فأما العلماء بعلوم لا تتعلق بمعرفة الله وثوابه وعقابه على وجهها؛ فليست علومهم بمقربة لهم من خشية الله. (3)

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - (إنما العلم خشية الله) (4)، وقال الإمام مالك - رحمه الله - (العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقوي خاشع) (5) وقال ابن مفلح - رحمه الله -: وعن أحمد أنه قال كان معروف الكرخي من الأبدال مجاب الدعوة وذكر في مجلس أحمد فقال بعض من حضر: هو قصير العلم، فقال له أحمد: أمسك عافاك الله وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف، وقال عبد الله: قلت لأبي: هل كان مع معروف شيء من العلم؟ فقال لي: يا بُني

(1) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (364/19).

(2) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (343/14).

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التنوير والتحرير (304/22).

(4) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله (758/1).

(5) القاضي عياض، عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (60/2).

كان معه رأس العلم خشية الله تعالى. (1)

وقال ابن كثير - رحمه الله -: "إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، وكلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل؛ كانت الخشية له أعظم وأكثر" (2)

وقال السعدي - رحمه الله -: (فكل من كان بالله أعلم، كان له أكثر خشية، وأوجبت له خشية الله الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضل العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (سورة البينة: الآية (8)). (3)

ولا تكون الخشية في العلم إلا لمن أخلص في طلبه، وكان قصده فيه للآخرة، قال الإمام الذهبي - رحمه الله - (من طلب العلم للآخرة، كسره علمه، وخشع قلبه، واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد) (4)

ولهذا كان من أهم ما يتحلى به طالب العلم في طلبه للعلم الخشية، قال الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - : فالزم خشية الله في السر والعلن، فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، إذن فخير البرية هو العالم، ولا يغيب عن بالك أن العالم لا يعد عالمًا إلا إذا كان عاملاً، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله. (5)

فإن لم يخش الطالب من الله، فلينظر في هذا العلم الذي يطلبه، أي علم هو؟ فليس هو الذي سأل نبينا المزيّد منه، ولا الذي بشّر بأن الحيتان تستغفر لمعلمه، ولا الذي من

(1) ابن مفلح، محمد بن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية (235/2).

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (544/6).

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 809).

(4) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، الكبائر (ص 78).

(5) بكر أبو زيد، بكر بن عبد الله، حلية طالب العلم (ص 144).

سلك سبيله سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة. (1)

(1) الشثري، مشاري بن سعد، ارتياض العلوم (ص222).

المبحث السادس

بالعلم تعرف حقيقة الدنيا

فأهل العلم هم أهل الحكمة والنجاة من فتن الحياة الدنيا، لأن العلم يوجه صاحبه إلى الصواب، وفهم الأمور على حقيقتها، فهذا قارون عندما خرج على قومه في زينته، تمنى من يريد الحياة الدنيا ولم يعرف حقيقتها، أن يكون له مثل قارون، ولكن الذين أعطوا العلم حين رأوا قارون في زينته، وسمعوا ما تمناه أصحابه قالوا: ويلكم ثواب الله في الآخرة، وما أعدّه الله من النعيم لمن آمن به وعمل صالحًا، خير مما أعطي قارون من زهرة الحياة الدنيا، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ سورة القصص: الآية (80).

قال الألوسي - رحمه الله -: (وقال الذين أوتوا العلم) أي: بأحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي... وإنما لم يوصفوا بإرادة ثواب الآخرة تنبيهًا على أن العلم بأحوال النشأتين يقتضي الإعراض عن الأولى، والإقبال على الأخرى حتمًا، وأن تمنى المتمنين ليس إلا لعدم علمهم بهما كما ينبغي. (1)

ولقد فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر فهمًا صحيحًا سليمًا، حتى قال أبي بن كعب - رضي الله عنه - موصيًا يقول: (ولا تغبط الحي إلا بما تغبط الميت) أي: انظر ما الذي يغبط به الميت؟ والجواب بلا ريب: هو العمل الصالح، فكذلك: لو رأيت على أحد نعمة دنيوية، مألًا، أو جاهًا، أو غير ذلك مما يغبط به الأحياء، فتذكر ما الذي يغبط به هذا الإنسان لو مات الآن. (2)

إن معرفة هذه الدنيا على حقيقتها هي التي تنشئ في العبد الحرص على ما ينفعه بعد الموت، تأمل فيما قاله الإمام الغزالي - رحمه الله - في الإحياء عن هذه القضية المهمة: ولا يبقى مع العبد بعد الموت إلا ثلاث صفات، صفاء القلب أعني طهارته من الأدناس، وأنسه

(1) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (327/10).

(2) المقبل، عمر بن عبد الله، مواظب الصحابة (ص196).

بذكر الله تعالى، وحبه لله عز وجل، وصفاء القلب وطهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا، والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى، والمواظبة عليه، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة، والمعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر، وهذه الصفات الثلاث هي المسعادات المنجيات بعد الموت. (1)

فإذا فهم الإنسان حقيقة الدنيا، والغاية من وجوده فيها، ووظيفته منها، فإنه حينئذ يقنع من الثياب بما يواريه، ومن البنيان ما يؤويه، ومن الطعام ما يسدُّ جوعته، ووعى حديث رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – ((من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)). (2)

(1) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين (220/3).

(2) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، (574/4) كتاب الزهد، باب في التوكل على الله (2346) وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني.

المبحث السابع

العلم والجهاد في سبيل الله تكامل لا تناقض

قيام الدين لا يكون إلا بأهل العلم وأهل الجهاد، ويجب التفقه في الدين مثله مثل الجهاد، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث السرايا إلى بعض النواحي يختار لها طائفة من أصحابه رضي الله عنهم، وطائفة يرافقونه صلى الله عليه وسلم، ويتفقهون في الدين بما يسمعون منه من القرآن وأحكام الشرع، وينذرون قومهم إذا رجعوا إليهم بما تعلمونه، رجاء أن يحذروا من عذاب الله وعقابه، فيمتثلوا بأوامره، ويجتنبوا نواهيه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢) سورة التوبة: الآية (122).

قال ابن القيم - رحمه الله -: الآية تكون قد اشتملت بيان حكم الناشرين والقاعدين، وعلى بيان اشتراكهم في الجهاد والعلم، فالنافرون أهل الجهاد، والقاعدون أهل التفقه، والدين إنما يتم بالجهاد والعلم، فإذا اشغلت طائفة بالجهاد، وطائفة بالتفقه في الدين، ثم يُعلم أهل الفقه المجاهدين إذا رجعوا إليهم، حصلت المصلحة بالعلم والجهاد، وهذا الأليق بالآية، والأكمل لمعناها، وأما إذا جعل النفير فيها نفيًا لطلب العلم لم يكن فيها تعرض للجهاد مع إخراج النفير عن موضعه. (1)

قال السعدي - رحمه الله -: وفي هذه الآية أيضًا دليل وإرشاد وتنبية لطيف، لفائدة مهمة، وهي أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة، من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها؛ لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدًا واحدًا، وهو قيام مصلحة دينهم وديانهم، ولو تفرقت الطرق، وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور. (2)

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد (190/4).

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المآن (ص408).

وهكذا يربط الحق سبحانه بين التفقه في الدين الذي هو أصل العلم، وبين النفير للجهاد في سبيل الله تعالى التي هي الحركة الإيجابية الفاعلة في الحياة؛ لأن الدين لا يقوم إلا بهما؛ فلا يصح جهاد في سبيل الله تعالى إلا على علم بأمر الله وما أراده من شرعية الجهاد، وما تتبعه من أحكام، كما أنه لا تصح معرفة وعلوم ليس لها حركة وجهد في واقع الحياة التي نعيشها، وذلك ببذل الجهد حتى يقع ما يحبه الله سبحانه وتعالى في الأرض، وذلك بالجهاد في سبيل الله بمعناه الواسع الشامل جهاد النفس أولاً ثم جهاد الشيطان ثم جهاد أرباب البدع والمنكرات، ثم جهاد الكافرين.

المحور الثاني

محاذير في طلب العلم من النظر القرآني

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول

اتباع المتشابه في العلم

المتشابهات: هي التي تحمل أكثر من معنى، التي يلتبس معناها على أكثر الناس، فأهل الزيغ وهم الذين في قلوبهم ميل عن الحق يتركون المحكم: وهو واضح الدلالة الذي لا لبس فيه، ويأخذون بالمتشابه المحتمل؛ يبتغون بذلك إثارة الشبهة، وإضلال الناس، ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات وعاقبتها التي تؤول إليها إلا الله، والراسخون في العلم المتمكنون منه يقولون: آمنا بالقرآن كله؛ أنه كله من عند ربنا، ويفسرون المتشابه بما أحكم منه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ سورة آل عمران: الآية (7).

والمحكّمات معظم الكتاب وأكثره، قال ابن عطية - رحمه الله -: "معناه الإعلام بأنّها معظم الكتاب وعمدة ما فيه؛ إذ المحكم في آيات الله كثير، وقد فصّل ولم يفرط في شيء منه" (1). وهذه المحكمات التي يفهمها كل عاقل من الناس، فلا تحتاج إلى شرح من عالم لبيائها، وكما أنّها مفهومة المعنى فهي مرضية عند أهل الدين، كما يقرر هذا المعنى ابن كثير في تفسيره، عن مقاتل بن حيان قال: (ليس من أهل دين إلا ويرضى بهنّ). (2)

ولهذا قال الطبري - رحمه الله - (وأما المحكمات فإنّهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلنا أدلة عليه من حلال وحرام، ووعد

(1) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (401/1).

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (7/2).

ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعبرة، وما أشبه ذلك... وإنما سّمَاهن أمّ الكتاب لأنهن معظم الكتاب، وموضع مفرغ أهله عند الحاجة إليه، وكذلك تفعل العرب؛ تسمي الجامع معظم الشيء أمّا له، فتسمى راية القوم التي تجمعهم في العساكر: أمّهم، والمدبر معظم أمر القرية والبلدة: أمّها). (1)

قال السعدي - رحمه الله - : قوله تعالى (وما يذكر) أي: يتعظ بمواعظ الله ويقبل نصحه وتعليمه إلا (أولوا الأبواب) أي: أهل العقول الرزينة لبّ العالم، وخلاصة بني آدم يصل التذكير إلى عقولهم، فيتذكرون ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وأما من عداهم فهثمهم القشور التي لا حاصل لها ولا نتيجة تحتها، لا ينفعهم الزجر والتذكير لخلوهم من العقول النافعة. ثم أخبر عن الراسخين في العلم أنهم يدعون ويقولون: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) أي: لا تملها عن الحق جهلاً وعناداً منا، بل اجعلنا مستقيمين هادين مهتدين، فثبتنا على هدايتك وعافنا مما ابتليت به الزائغين (وهب لنا من لدنك رحمة) أي: عظيمة توفقنا بها للخيرات وتعصمنا بها من المنكرات (إنك أنت الوهاب) أي: واسع العطايا والهبات، كثير الإحسان الذي عمّ جودك جميع البريات. (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد) فمجازيهم بأعمالهم حسنهما وسيئها.

ثم قال: وقد أثنى الله على الراسخين في العلم بسبع صفات هي عنوان سعادة العبد: إحداهما: العلم الذي هو الطريق الموصل إلى الله، المبين لأحكامه وشرائعه، الثانية: الرسوخ في العلم، وهذا قدر زائد على مجرد العلم؛ فإن الراسخ في العلم يقتضي أن يكون عالماً محققاً، وعارفاً مدققاً، قد علّمه الله ظاهر العلم وباطنه، فرسخ قدمه في أسرار الشريعة علماً وحالاً وعملاً، الثالثة: أنه وصفهم بالإيمان بجميع كتابه، وردّ لمتشابهه إلى محكمه، بقوله (يقولون) ءامنا به كل من ربنا) الرابعة: أنهم سألوا الله العفو والعافية مما ابتلى به الزائغون المنحرفون، الخامسة: اعترافهم بمنة الله عليهم بالهداية وذلك قوله (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) السادسة: أنهم مع هذا سألوه رحمته المتضمنة حصول كل خير واندفاع كل شر، وتوسلوا إليه

(1) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (189/5).

باسمه الوهاب، السابعة: أنه أخبر عن إيمانهم بإقائهم بيوم القيامة وخوفهم منه، وهذا موجب للعمل الرادع عن الزلزل. (1)

قال الألوسي . رحمه الله . : فيها مدحًا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر؛ لما أنهم قد تجردت عقولهم عما يغشاها من الركون إلى الأهواء الزائغة المكدره لها، واستعدوا إلى الاهتداء إلى معالم الحق، والعروج إلى معارج الصدق. (2)

وإن من أعظم المشكلات في العلم هي اتباع المتشابه، وترك المحكم الواضح؛ لأجل الفتنة والهوى، وليس أتباعًا للدليل الصحيح القاطع، قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - في الاعتصام: كذلك ذكر في أهل الزيغ أنهم يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة، فهم يطلبون به أهواءهم؛ لحصول الفتنة، فليس في نظرهم إذا في الدليل نظر المستبصر حتى يكون هواه تحت حكمه، بل نظر من حكم بهوى، ثم أتى بالدليل كالمشاهد له، ولم يذكر مثل ذلك في الراسخين، فهم إذن بضد هؤلاء، حيث وقفوا في المتشابه، فلم يحكموا فيه ولا عليه سوى التسليم، وهذا المعنى خاص بمن طلب الحق من الأدلة، لا يدخل فيه من طلب في الأدلة ما يصحح هواه السابق. (3)

واليوم إذ تعاني الأمة من الدعوات المكثفة لحرف الإنسان عن فطرته وللتشويش على محكمات دينه؛ فإن الحاجة تزداد إلى الدعوة إليها، وتثبيتها في الناس، والدفاع عنها بالقلم واللسان والبيان، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدروس العلم وخطب الجمعة، وعلى صفحات الإنترنت ومواقع التواصل، وعلى أي منبر يؤمه الناس، وبأي وسيلة تصل إلى هذه النتيجة. (4)

(1) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المتان (ص 126. 127).

(2) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (81/2).

(3) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام (283/1).

(4) الزهراني، فايز بن سعيد، غمامتان (ص 69).

المبحث الثالث

الاختلاف والبغي بعد العلم من صفات أهل الكتاب

فإن أهل الكتاب من اليهود والنصارى إنما اختلفوا في دينهم واختلفوا شيعاً وأحزاباً إلا من بعد ما قامت عليهم الحجة بما جاءهم من العلم، حسداً وحرصاً على الدنيا، فتركوا الدين المقبول عند الله وهو الإسلام الذي هو الانقياد لله وحده بالطاعة، واستسلام لله بالعبودية، وهو الدين الحق الذي ختم الله به رسالاته، ولا يقبل الله من أحد دين سواه، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا ۚ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ سورة آل عمران: الآية (19).

وقد ذكر الله تعالى أن المختلفين اختلفوا بعد ما جاءهم البينات بغيًا بينهم فلذلك ذمهم الله؛ لأن العلم جاءهم من الله واضحاً جلياً فاختلفوا، فاصدين البغي معرضين عن الهدى، مع علمهم بالحق، ولم يكونوا باختلافهم مجتهدين مخطئين، قال الزجاج: اختلفوا للبغي، لا لقصد البرهان. (1)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : سبب الاجتماع والألفة: جمع الدين والعمل به كله؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما أمر باطنًا وظاهرًا. وسبب الفرقة: ترك حظ مما أمر العبد به، والبغي بينهم. ونتيجة الجماعة: رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه. ونتيجة الفرقة: عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول صلى الله عليه وسلم منهم. (2)

قال السعدي - رحمه الله -: وإنما اختلفت أهل الكتاب بعدما جاءهم كتبهم تحثهم على الاجتماع على دين الله، بغيًا بينهم، وظلمًا وعدوانًا من أنفسهم، وإلا فقد جاءهم السبب الأكبر الموجب أن يتبعوا الحق ويتركوا الاختلاف، وهذا من كفرهم... وفي قوله (فإن الله سريع الحساب) فيجازي كل عامل بعمله، وخصوصًا من ترك الحق بعد معرفته، فهذا يستحق

(1) الغنيمان، عبدالله بن محمد، ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة (ص30).

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى (17/1).

الوعيد الشديد والعقاب الأليم. (1)

وقد ذكر الله في أكثر من موضع من كتابه، أن تفرق المشركين والكفار من أهل الكتاب بعد ما قامت عليهم الحجة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، وما كان تفرقهم إلا بسبب البغي والظلم، وهذه عاقبة ترك العلم، بعدم الانقياد لما يرشد إليه من الحق والعدل واليقين، قال سبحانه: ﴿ وَمَا نَفَرْنَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ ۖ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ سورة الشورى: الآية (14) قال القرطبي — رحمه الله — : بغيًا من بعضهم على بعض طلبًا للرياسة؛ فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج، ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا. (2)

بل وأعطاهم الله دلائل توضح الحق من الباطل، فما اختلفوا إلا من بعد ما قامت عليهم الحجج بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما جرهم إلى هذا الاختلاف إلا بغي بعضهم على بعض حرصًا على الرئاسة والجاه، فالله يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا، فبيّن من كان محققًا، ومن كان مبطلًا، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَأَتَيْنَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ سورة الجاثية: الآية (17).

وكان سبب تفرق أهل الكتاب وهم اليهود الذين أعطوا التوراة، والنصارى الذين أعطوا الإنجيل، إلا من بعد ما بعث الله نبيّه إليهم، فمنهم من أسلم، ومنهم من تمادى في كفره مع علمه بصدق نبيّه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نَفَرْنَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤﴾ سورة البينة: الآية (4).

قال ابن جزى - رحمه الله -: وإنما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بما

(1) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المّان (ص 130).

(2) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (12/16).

يجدون في كتبهم من ذكره. (1)

إن الاجتماع والاعتصام على دين الله تعالى، هو من أعظم مقاصد هذا الدين، فبقدر معرفة العبد لدينه يكون اجتماعه عليه مع إخوانه المسلمين، وإذا ترك شيء من دينه فلم يتعلمه، حلت به الفرقة والاختلاف، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وما الدين إلا أن تقام شريعة وتأمين سبل بيننا وشعاب

قال صاحب كتاب "ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة": وكل ما أوجب فتنة أو فرقة بين المؤمنين فليس هو من الدين، سواء كان قولاً أو فعلاً، والفتنة والفرقة لا تقعان إلا من ترك ما أمر الله به، والله تعالى أمر بالحق والعدل وأمر بالصبر، والفتنة تكون من ترك الحق، أو من ترك الصبر. (2)

(1) ابن جزى، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل (501/2).

(2) الغنيمان، عبد الله بن محمد، ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة (ص18).

المبحث الرابع

البطر في العلم سبب لعذاب الله

ذكر الله في كتابه أقوامًا جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة كذبوا بها، ورضوا بالتمسك بما عندهم من العلم المنافي لما جاءتهم به رسلهم، ونزل بهم ما كانوا يسخرون منه من العذاب الذي كانت تحوِّفهم رسلهم منه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٨٣) سورة غافر: الآية (83).

قال السعدي - رحمه الله - : (وفرحوا بما عندهم من العلم) المناقض لدين الرسل، ومن المعلوم أن فرحهم به يدل على شدة رضاهم به وتمسكهم، ومعاداة الحق الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقًا، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا: علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُذِّت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره من القلوب، وجعلت أدلته اليقينية القاطعة أدلة لفظية لا تفيد شيئًا من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها والمناقضة.⁽¹⁾

وقال ابن جزى - رحمه الله - : الضمير يعود على الأمم المكذبين، وفي تفسير علمهم وجوه: أحدها: أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون، والثاني: أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها، والثالث: أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع.⁽²⁾

قال ابن القيم - رحمه الله - : ولهذا كان أكمل الأمم علمًا أتباع الرسل، وإن كان غيرهم أحذق منهم في علم النجوم والهندسة، وعلم الكم المتصل والمنفصل، وعلم النبض والقارورة والأبوال ومعرفة قوامها، ونحوها من العلوم التي لما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم بها وآثروها على علوم الرسل، وهي كما قال الواقف على نهايتها: " ظنونٌ كاذبةٌ، وإن بعض الظن إثم "، وهي علوم غير نافعة، فنعوذ بالله من علم لا ينفع، وإن نفعت فنفعها

(1) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المتان (ص 875).

(2) ابن جزى، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل (236/2).

بالنسبة إلى علوم الأنبياء كنفع العيش العاجل بالنسبة إلى الآخرة ودوامها.
 فليس العلم في الحقيقة إلا ما أخبرت به الرسل عن الله عز وجل طلبًا وخبرًا، فهو العلم
 المزكي للنفوس، المكمل للفطر، المصحح للعقول، الذي خصّه الله باسم العلم، وسمى ما
 عارضه ظنًا لا يغني من الحق شيئًا وحرصًا وكذبًا.⁽¹⁾

فتعلم أخي الطالب للعلم ما جاءت به رسل الله عليهم السلام، الذين خاتمهم محمد
 صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالشرعية المهيمنة على ما قبلها من الشرائع، فما فيها من
 خير ونفع هو موجود في شريعته صلى الله عليه وسلم، فبذلك فلتفرح وتقرّ عينك، وإياك أن
 تفرح بما سواها من العلوم المخالفة لها؛ فهو من الفرح المذموم الذي يؤدي إلى الأشر والكبر
 ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة (121/1).

المبحث الخامس

الإعراض عن العلم يورث التولي عن ذكر الله، والغفلة عن الآخرة:

من لا يعلم الإيمان وأحكام الشرع، إنما يعلم ظاهرًا من الحياة الدنيا ما يتعلق بكسب المعاش، وبناء الحضارة المادية، وهو عن الآخرة التي هي دار الحياة الحقيقية معرض، لا يلتفت إليها، كما أخبر الله عنهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (سورة الروم: الآية (7)).

قال البغوي - رحمه الله -: يعني أمر معاشهم وكيف يكتسبون ويتجرون، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون، وكيف يبنون ويعيشون، (وهم عن الآخرة هم غافلون)، ساهون عنها جاهلون، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها. (1)

وقال البقاعي - رحمه الله -: قال الحسن - رحمه الله -: "إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ؛ وهو لا يحسن يصلي" وأمثال هذا لهم كثير، وهو إن كان عند أهل الدنيا عظيمًا فهو عند الله حقير، فلذلك حقره؛ لأنهم ما زادوا فيه على أن ساووا البهائم في إدراكها ما ينفعها؛ فتستجلبه بضروب من الحيل، وما يضرها فتدفعه بأنواع من الخداع. (2)

قال السعدي - رحمه الله - في تفسيره عند هذه الآية: قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها، فعملت لها وسعت، وأقبلت بها وأدبرت، وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها، ولا النار تخافها وتخشاها، ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها، وهذا علامة الشقاء، وعنوان الغفلة عن الآخرة... قد رأهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون، وفي ضلالهم يعمهون، وفي بطلهم يترددون،... فعرفوا أن الأمر لله، والحكم له في عباده، وإن هو إلا توفيقه وخذلانه؛ فخافوا ربهم، وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول الإيمان، حتى يصلوا إليه ويحلوا بساحته. (3)

(1) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن (6/262).

(2) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (15/45).

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المآن (ص748).

وكذلك فإن الذي يُدبر عن ذكر الله ولم يعبأ به، ولم يُرد إلا الحياة الدنيا، فهو لا يعمل لآخرته؛ لأنه لا يؤمن بها، هذا هو مبلغه من العلم لأنه جاهل، لم يصل إلى اليقين، قال الله تعالى: ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَكَّلَ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٣١) ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعَالَمِينَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾ سورة النجم: الآية (29، 30).

قال ابن عاشور - رحمه الله - بعد أن وصف مداركهم الباطلة وضلالهم ففرع عليه أمر نبيّه بالإعراض عنهم؛ ذلك لأن ما تقدم من وصف ضلالهم كان نتيجة إعراضهم عن ذكر الله - وهو التولي عن الذكر. فحق أن يكون جزاؤهم عن ذلك الإعراض إعراضاً عنهم.⁽¹⁾

وقال السعدي - رحمه الله -: أمر الله رسوله بالإعراض عن من تولى عن ذكره، الذي هو الذكر الحكيم، والقرآن العظيم، والنبأ الكريم، فأعرض عن العلوم النافعة، ولم يرد إلا الحياة الدنيا، فهذا منتهى إرادته، ومن المعلوم أن العبد لا يعمل إلا للشيء الذي يريده، فسعيهم مقصور على الدنيا ولذاتها وشهواتها، كيف حصلت حصلوها، وبأي طريق سنحت ابتدروها. (ذلك مبلغهم من العلم) أي: هذا منتهى علمهم وغايتهم، وأما المؤمنون بالآخرة المصدقون بها أولو الالباب والعقول فهمتهم وإرادتهم للدار الآخرة، وعلومهم أفضل العلوم وأجلها، وهو العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.⁽²⁾

وقال القرطبي - رحمه الله -: في قوله تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) أي إنما يبصرون أمر دنياهم، ويجهلون أمر دينهم، قال القراء - رحمه الله -: صغرهم وازدرى بهم؛ أي ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.⁽³⁾

فاحرص أخي على العلم النافع؛ حتى لا تكون ممن تولى عن ذكر ربه سبحانه، وغفيل عن الآخرة، فيضعف لديك العلم، فتخسر الدنيا والآخرة، قال ابن القيم - رحمه الله -: فالعلم يضعف قطعاً بالغفلة والإعراض واتباع الهوى وإيثار الشهوات، وهذه الأمور توجب شبهات

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التنوير والتحرير (116/27 . 117).

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المآان (ص 967).

(3) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (105/17).

وتأويلات تضاده، فتأمل هذا الموضوع حق تأمل فإنه من أسرار القدر والشرع والعدل.⁽¹⁾

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص173).

المبحث السادس

عدم العمل بالعلم أو عدم فهمه سبب للذم

فقد رغب الشرع إلى العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، وذكر قصة الرجل من بني إسرائيل الذي أعطاه آياته فعلمها، وفهم الحق الذي دلت عليه، ولكنه لم يعمل بها، بل تركها وانخلع منها، فلحقه الشيطان، وصار قريباً له، فأصبح من الضالين الهالكين، بعد أن كان من المهديين الناجين، ولو شاء الله نفعه بهذه الآيات لرفعه بها؛ بأن يوفقه للعمل بها فيرتفع في الدنيا والآخرة، ولكنه اختار ما يؤدي إلى خذلانه حين مال إلى شهوات الدنيا مؤثراً دنياه على آخرته، وأتبع ما تهواه نفسه من الباطل، فمثله في شدة الحرص على الدنيا كمثل الكلب لا يزال لاهثاً في كل حال، إن كان رابضاً لهث، وإن طرد لهث، ذلك المثل المذكور مثل القوم الضالين بتكذيبهم بآياتنا، فاقصص - أيها الرسول - القصص عليهم؛ رجاء أن يتفكروا فينجزوا عما هم فيه من التكذيب والضلال، قال الله تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَٰوِبِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ ءَخَلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَشُلِّهٖ ۚ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِءَايَاتِنَا فَٱقْصِصْ ٱلْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦ ﴾ سورة الأعراف: الآية (175. 176).

قال السعدي - رحمه الله -: عند قوله تعالى: (فانسلك منها) أي انسلك من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله؛ فإن العلم بذلك يصير صاحبه متصفاً بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي أمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس، فلما انسلك منها أتبعه الشيطان؛ أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزّه إلى المعاصي أزراً (فكان من الغاوين) بعد أن كان من الراشدين المرشدين... ثم قال رحمه الله: وفي هذه الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه، وفيه

اتباع الهوى وإخلاق العبد إلى الشهوات، يكون سبباً للخذلان. (1)

قال ابن عاشور - رحمه الله -: فإنه لما عاند ولم يعمل بما هداه الله إليه حصلت في نفسه ظلمة شيطانية مكنت الشيطان من استخدامه، وإدامة إضلاله؛ فالانسلاخ على الآيات أثر من وسوسة الشيطان، وإذا أطاع المرء الوسوسة تمكن الشيطان من مقاده، فسخره وأدام إضلاله، وهو المعبر عنه ب(فأتبعه) فصار بذلك في زمرة الغواة المتمكنين في الغواية ... وقوله تعالى: (ولو شئنا لرفعناه بها) أفاد أن تلك الآيات شأنها أن تكون سبباً للهداية والتزكية لو شاء الله له التوفيق، وعصمه من كيد الشيطان وقتنته فلم ينسلخ عنها، وهذه عبرة للموفقين؛ ليعلموا فضل الله عليهم في توفيقهم؛ فالمعنى: ولو شئنا لزداد في العمل بما آتينا من الآيات فلرفعه الله بعلمه. (2)

وقال البغوي - رحمه الله -: قال القتيبي - رحمه الله -: كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء، أو عطش، إلا الكلب؛ فإنه يلهث في حال الكلال، وفي حال الراحة، وفي حالة العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال؛ كالكلب: إن طردته ليهث، وإن تركته على حال يلهث. (3)

وبل ومثل الله الذي يترك ما كُلفَ به فلا يعمل به، كمثل الحمار الذي يحمل الكتب الكبيرة، ولا يدري ما حُمل عليه: أهو كتب أم غيرها؟ قبح مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يوفق القوم الظالمين لإصابة الحق، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

سورة الجمعة: الآية (5).

قال ابن كثير - رحمه الله - : يقول الله تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها، مثلهم في ذلك (كمثل الحمار يحمل أسفاراً) أي: كمثل الحمار إذا

(1) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المآل (ص350).

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التنوير والتحرير (176/9).

(3) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن (305/3).

حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه: حفظوه لفظاً، ولم يتفهموه، ولا عملوا بمقتضاه. (1)

وقال ميمون بن مهران - رحمه الله -: الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبل؛ فهكذا اليهود. (2) وقال القاسمي: فهذا المثل وإن كان ضُرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤدِّ حَقَّهُ، ولم يرعه حق رعايته. (3)

لقد فهم السلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى أهمية العمل بالعلم، وأنه الثمرة الحقيقية للعلم، وإلا فما الفائدة من العلم والتعلم، إن لم يكن حجة لك عند الله تعالى، قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: (يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف علمهم عملهم، يقعدون حلماً فيباهي بعضهم بعضاً؛ حتى أن الرجل ليغضب على جلسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل).

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: (إن الناس أحسنوا القول كلهم، فمن وافق فعله قوله، فذلك الذي أصاب حظّه، ومن خالف قوله فعله، فإنما يوبّخ نفسه).

ويروى أن سفيان الثوري - رحمه الله - كان ينشد متمثلاً، وهي لسابق البربري :

إذا العلم لم تعمل به كان حجة عليك ولم تعذر بما أنت جاهله
فإن كنت قد أوتيت علماً فإنما يصدّق قول المرء ما هو فاعله (4)

وقال سفيان ابن عيينة - رحمه الله - : ((أجهل الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (117/8).

(2) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (94/18).

(3) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل (229/9).

(4) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله، باب جامع القول في العمل بالعلم (1/

188).

عمل بما يعلم)). (1)

(1) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، (355/1)، باب في فضل العلم والعالم (342).

المبحث الثاني

بذل العلم ثمناً لنيل المكاسب الدنيوية

وهذا مسلك خطير من مسالك من آتاهم الله علماً من أهل الكتاب، وهو استخدام العلم في قضاء المصالح الشخصية، سواء كانت مالة كالرشي والنقود والمتاع، أو معنوية كالترقي في الرتب الوظيفية، والمناصب الدنيوية، والفوز برضا المسؤول، والسلامة من غضب السلطان ونحو ذلك. (1)

قال الله تعالى في كتاب العزيز: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآبَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَقْفُونَ﴾ (٤١) سورة البقرة: الآية (41).

قال البيضاوي - رحمه الله - : (ولا تستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا، فإنها وإن جلت قليلة مستزلة، بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان، قيل: كان لهم رئاسة في قومهم، ورسوم وهدايا منهم، فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخثاروها عليه، وقيل: كانوا يأخذون الرشي فيحرفون الحق ويكتمونه) (2).

وقال محمد رشيد رضا - رحمه الله - : (تستبدلوا بهدايته هذا الثمن القليل، وهو ما يستفیده رؤسائكم من المرءوسين من مال وجاه أوقعاهم في الكبر، وما يتوقعه المرءوسين من الزلفى والحظوة بتقليد الرؤساء واتباعهم وما يخشونه إذا خالفهم من المهانة والذلة، وإنما سمي هذا الجزاء قليلاً؛ لأن كل ما عدا الحق قليل وحقير بالنسبة إليه، وكيف لا يكون قليلاً وصاحبه يخسر عقله وروحه قبل كل شيء لإعراضه عن الآيات البينات، والبراهين الواضحات؟ ثم إنه يخسر عز الحق وما يكون له من الشأن العظيم وحسن العافية، ثم إنه يخسر مرضاة الله - تعالى - وتحل به نقمه في الدنيا وعقوبته في الآخرة). (3)

وانظر - بعين التأمل - إلى ما قاله الإمام الشوكاني - رحمه الله - : (فمن أخذ من المسلمين

(1) الزهراني، فايز بن سعيد، غمامتان (ص254).

(2) البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (76/1).

(3) رشيد رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم، (تفسير المنار) (243/1).

رشوة على إبطال حقّ أمر الله به، أو إثبات باطل نهي الله عنه، أو امتنع عن تعليم ما علمه الله، وكنتم البيان الذي أخذ الله عليه ميثاقه به، فقد اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً). (1)

إن الخشية من الله والخوف من سوء الحساب والتيقظ الوجداني لتمنع بإذن الله من الوقوع في موبقة كهذه الموبقة، ألا ترى أن الله ختم الآية بقوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَآتِقُونَ﴾ (٤١) ومعنى ذلك أنّ الذين قدموا حظوظ الدنيا وكسب الأموال ورضا الرؤساء على حق العلم والصدع به، قل حظّهم من التقوى. (2)

وفي هذا الملحظ التربوي يقول السعدي - رحمه الله - : (هؤلاء أهل الكتاب والعلم على الحقيقة، كما قال تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } ومن تمام خشيتهم لله، أنهم { لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً } فلا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترون به ثمناً قليلاً وأما هؤلاء فعرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران، الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ النفس السفلية، وترك الحق الذي هو: أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فأثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فأثابهم الله على ذلك بأن وعدهم الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطؤون ما وعدهم الله، لأن ما هو آت محقق حصوله، فهو قريب). (3)

فالواجب على طالب العلم أن يعرف قدر العلم، وعظيم أجره عند الله إذا ثبت عليه ووقف معه، وأثره على كل ما سواه من حظوظ الدنيا الفانية، ومتعتها الزائلة؛ فينال به العز والشرف والرفعة عند الله وعند عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.

(1) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير (88/1).

(2) الزهراني، فايز بن سعيد، غمامتان (ص 255).

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 173).

المبحث السابع

اتباع الهوى بعد العلم

لأن العلم هو الحق الواضح، الذي يجب اتّباعه، ولكن حصل الاتّباع للأهواء بعد مجيء الحق الواضح، فلن تجد من الله مناصرة أو معونة، وهذا فيه بيان خطورة ترك الحق ومجاراة أهل الباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ سورة البقرة: الآية (120).

بل ترك العلم الصحيح الذي لا مرية فيه، يصير به الإنسان من الظالمين بتركه الهدى، واتباعه الهوى؛ لأن هناك فرق بين تأليف قلوب المدعويين، واتباع أهوائهم بسخط الله تعالى، علاوة على أن ذلك فيه إقامة الحجة على العالم، قال ابن كثير رحمه الله: ثم حذر تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم إلى الهوى، فإن العالم الحجة عليه أقوم من غيره⁽¹⁾ قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة البقرة: الآية (145).

وليس لك من الله ولي يتولى أمرك، ويصورك على أعدائك، وليس لك مانع يمنعك من عذابه، أن أنت اتبعت أهواء أهل الكتاب بعدما جاءك من العلم الذي علمك الله إياه، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ سورة الرعد: الآية (37).

قال الإمام القرطبي . رحمه الله .: أي أهواء المشركين في عبادة ما دون الله، مالك من الله من ولي: أي ناصر ينصرك، ولا واق: يمنعك من عذابه، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد الأمة.⁽²⁾

ولذا فعليك أيها المسلم الحذر من سماع شبهات الكفار، وتلقفها؛ فإن عاقبة ذلك أن

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (462/1).

(2) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (327/9).

يكلك الله على نفسك؛ لأنك توليت عن شرعه، بعد إذ علمته.
ولو تأملنا حال كثير ممن ينتسب إلى العلم في زمننا هذا، لوجدنا أنهم ينساقون أحياناً مع أهوائهم في مواقفهم العلمية أو العملية، إلى ما فيه مخالفة لصريح ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة؛ بحجة الواقع أو متابعة أكثر الناس أو ما عليه جماعته وحزبه، وأي أتباع للهوى أعظم من ذلك نسأل الله أن يبصّرنا بالحق ويلهمنا اتّباعه.

بل أن كل من اتّبع الهوى وترك الهدى، فقد ضل عن الهدى؛ لتركه العلم بالله وبشرعه، فمن يوفق للهداية من أضل الله؟ لا أحد يوفّقه، وليس له ناصر يدفع عنه عذاب الله، قال الله تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ سورة الروم: الآية (29).

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

1. أن تعلم العلم الموصل إلى الله، اصطفاءً من الله لعباده، وبه تصلح الدنيا والآخرة.
2. ثمرة العلم النافع خشيته سبحانه ثم التزام بما عِلِمَ، عملاً به، ودعوة إليه.
3. معرفة الوحي والإيمان به، تثمر في القلب إخباراً وخضوعاً لله تعالى.
4. العلم الخشية، فإن من لم يخشَ الله تعالى حق الخشية لم ينتفع بعلمه.
5. الدنيا دار غرور وفتنة، إلا لمن تسلح بالعلم، فبه يعرف حقيقتها ويتقي فتنتها.
6. لا قيمة للعلم إلا ببذل الجهد والتضحية في سبيل أن يكون ما يحبه الله تعالى في أرضه.
7. أن القلب السليم من الزيغ يؤمن بالمحكمات من الدين ويرد إليها المتشابهات.
8. تقوى الله تعالى والتيقظ الوجداني تمنع بإذن الله الوقوع في موبقة جعل العلم ثمناً للدنيا.
9. من كان منتهى إرادته ومبلغ علمه لذات الدنيا وشهواتها، فعلمه قاصر لا يصل إلى اليقين.
10. الغفلة والإعراض واتباع الهوى إيثار الشهوات، توجب تأويلات تضاد العلم وتضعفه.

ثانياً: التوصيات:

1. الدعوة إلى تثبيت المحكمات من الدين في حياة عامة المسلمين.
2. غرس محبة العلم والتعلم لدى الأجيال المسلمة مع بيان ثمره العلم وفائدته.
3. إيجاد المحاضن العلمية والتربوية تقوم على التدرج المنهجي في تعليم العلم وترسيخه.
4. وضع برامج مصاحبة لتحفيظ القرآن الكريم تربي على اتباع الهدى ومجانبة الهوى.
5. الحرص على تدبر القرآن الكريم واستنباط الحلول الصحيحة لمشكلات الحياة عامة.

المراجع:

- الألوسي، محمود بن عبد الله، (1415هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى.
- البغوي، (1997م)، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي القاهرة.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر، (1418هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن الرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى.
- الترمذي، محمد بن عيسى، (1975م) سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة النبوية، (د. ط)، (1416هـ 1995م).
- ابن جزري، محمد بن أحمد، ابن جزري الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: د عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى 1316هـ.
- ابن حيان، أبو حيان محمد بن يوسف، (1420هـ)، البحر المحیط في التفسیر، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر: بيروت (د. ط).
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، (2000)، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد

- الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ط1.
- الذهبي، محمد بن أحمد، الكبائر، دار الندوة الجديدة، بيروت.
- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي، (1990)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الزهراني، فايز بن سعيد، (2022م)، غمامتان جولة مفاهيمية في سورتي البقرة وآل عمران، شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
- أبو زيد، بكر بن عبد الله، (1416هـ)، حلية طالب العلم، دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، التصحيح والمراجعة: قسم البحث والإعداد العلمي بمكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، طبعة مجلة البيان.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (1992)، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان السعودية، الطبعة الأولى.
- الشثري، مشاري بن سعد، (1437هـ)، ارتياض العلوم، مركز البيان للبحوث والدراسات، مجلة البيان، طباعة الدار العربية للطباعة والنشر.
- الشوكاني، محمد بن علي، (1414هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى.
- الطبري، محمد بن جرير، (2001)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، سنة النشر 1984م.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، مكتبة ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، 1414هـ 1994م.

- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة بيروت.
- الغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان، ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد الخامس والستون والسادس والستون، محرم — جمادى الآخرة 1405هـ 1985م.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، (1418هـ) محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- القاضي عياض، القاضي عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مطبعة فضالة - المحمدية المغرب، الطبعة الأولى.
- القرطبي، محمد بن أحمد، (1964م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة الثانية.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (1408هـ)، الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1398هـ 1978م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض، (ط2)، (1420هـ 1999م).
- ابن مفلح، محمد بن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب.
- المقبل، عمر بن عبد الله، (1435هـ)، مواعظ الصحابة رضي الله عنهم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى.